جهينة على قيد الحياة

-فريدة، تهيئي للذهاب معي الى بيروت الغربية. أريد أن أستوثق من هويـة فتاة تنزل في مشفى كان تابعا للمنظمة قبل رحيلها.. لعلها جهينة!

-أعرف مكان المشفى، فلقد عملت فيه قبل أن آتي اليك.

-أريد أن تهيئي لها حقيبة من ملابسي فإن كانت هي فسأحضرها على الفـور معي!

أبرزت هويتي عند الحاجز الذي يفصل المدينة الى شطرين فمـرت سـيارتي بسلام دون أن يعترضها أحد..

صعدنا الى الطابق الرابع، ومنه الى غرفتها مباشرة. كانت غرفة بأربعة أسرة اثنان منها فارغان، وفي الزاوية عند الباب استلقت جهينة مغمضة العينين..

قالت لي المريضة قبالتها:

-نقلت البارحة الى الغرفة وهي لا تزال نائمة من أثر المخدر!

تأملت وجهها الشاحب وأحسست بقلبي يذوب اشفاقا وسعادة بلقياها:

-جهينة! حمدا لله على سلامتك..

فتحت عينيها وهمست: نبيلة! أخرجيني من هنا! أرجوك!

-حبيبتي لاتتحركي ولا تنفعلي! عانقتها مهدئة من روعها:

-لا تتركيني هنا، أرجوك!

تقدمت ورفعت لها السرير بيد خبيرة، كانت يدها مرتبطة الى أنبوب السيروم، وظاهرها ممتلئ بالكدمات من وخز الأبر، وشفتاها جافتين مشققتين، وشعرها الأسود الفاحم مشعثا وعلى طاولتها قنينة ماء وكوب، وغابت فريدة لتحـادث الممرضـات.. أخرجت من حقيبتي مشطا ومشطت لها شعرها، واذا بفريدة تعـود ومعهـا صـينية الفطور.. قالت وهي تضع الصينية فوق الكومودينة وتجرها لتضع طاولتهـا فـوق السرير:

-سمح الطبيب لك بالفطور.

كان على الصينية كوبا من الحليب الساخن وقليلا من اللبنة والعـسل وبيـضة مسلوقة في تجاويف معدنية منفصلة. نزعت فريدة أنبوب السيروم وأغلقتـه لتحـرر

يدها، وأخذت تقشر لها البيضة، وامسكت جهينة بالكوب بيد مرتجفـة ترشـف منـه الحليب، وقالت:

-لأول مرة في حياتي أشعر للحليب الطازج هذا الطعم اللذيذ!

-صحة وعافية، قالت فريدة وهي تلقمها البيضة..

-اننا منذ سبعة عشر يوما ونحن نبحث عنك في جميع المشافي حتى اهتـدينا الى مكانك.. وأردفت فريدة:

-قالت لي الممرضات أن هذا المشفى لم يسجل بعد في الدليل!

وشاركت الفتاة قبالة جهينة بالحديث:

-كان تابعا للفلسطينيين، ولكنه منذ خروجهم من بيروت أصبح تابعا للبنانيين، وتغير رقم تلفونه وطاقم أطبائه ومديره الإداري، وحتى ممرضاته.. سألتها:

-مالسم مديره؟

-لا أدري.. يمكنك أن تسألي الدكتورة أسماء فهي ستمر بعد قليل في دورة مع الأطباء.

-اسألي الطبيبة اذا كان بإمكاني أن أستحم- قالت جهينة- فأنا أكاد أموت مـن القذارة العالقة بي، وأشعر أنني لن أخرج من هذا المكان دون أن يـصيبني مـرض عضال.

كنت قد تفاهمت مع الدكتورة أسماء أن من الأفضل أن لايعرف أحد أن بيننـا معرفة سابقة، وتصرفت على هذا الأساس وقد أحاط بجهينة الأطباء يسألونهاعن حالها فتجيب باقتضاب بلا أو نعم، أو تهز الرأس أحيانا سلبا كان أو ايجابا.

كانت الطبيبة تحمل ملفا يحوي التقارير عنها، وتجيب مفصلا عنه: لا حرارة، لاارتفاع ضغط، حالة الدم سليمة، والجرح يلتئم..

سألتها ان كان بوسعي اخراجها حالا فأجابت:

-من ألأفضل أن تبقى مدة أطول حتى تفك القطب.

-لا أستطيع مرافقتها بظروفي، ولا أستطيع تركها وحدها، وحين يحـين أوان فك القطب أعود بها الى المشفى أو يقوم بذلك طبيب قريب مني.

-حسنا، سأستشير المديرالإداري..

-رجاء حين تنتهي من الدورة أن ترافقيني لرؤية المدير لأدفع ما يترتب علي من تكاليف.

- مليح – هزت رأسها موافقة واستدارت الى السرير الثاني..

* * *